المناظرات الدينية بين المسلمين وأهل الكتاب في الأندلس
(مناظرة ابن حزم القرطبي، والفقيه أبي الوليد الباجي نموذجا)

الباحث منير فطيش
كلية اللغات والآداب والفنون
جامعة ابن طفيل القنيطرة
المغرب

مقدمة:

شهدت الأندلس على امتداد ثمانية قرون أحداثا تاريخية مليئة بالأحداث والعبر، وتهيأت الظروف والأسباب لقيام حضارة إنسانية فريدة التقت فيها ثقافة الشرق بثقافة الغرب، وشكلت المناظرات الدينية بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل والنحل الأخرى مجالا خصبا للسمو بالحركة العلمية وإثراء الحياة الفكرية والثقافية خصوصا في عصر ملوك الطوائف، فعلى الرغم من التفكك السياسي، والانحلال الأخلاقي الذي عرفته دويلات المماليك الطائفية، فقد أتاح هؤلاء الملوك مجالا كبيرا لظهور التيارات الفكرية والتوجهات العقدية التي فسحت المجال لغير المسلمين بالظهور، والتعبير عن عقائدهم الخاصة ومواقفهم المعادية للإسلام، وفي مقابل ذلك عمل علماء المسلمين على التعرض لهذه المواقف، ودحض الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام، ومن هؤلاء الإمام ابن حزم الظاهري، والفقيه أبي الوليد الباجي اللذان سخرا جهودهما للدفاع عن حقائق الإسلام، والمثابرة لدحض الأباطيل وإقامة الحجة على المعترضين لقيم الشريعة المحمدية ومبادئها السمحة بالأساليب التي تقتضي مجادلة أهل الكتاب بالحكمة والموعظة الحسنة، وإقناع الآخر بالكلمة الطيبة والحجة الظاهرة.

فما المقصود بالمناظرات الدينية؟

وما هي الأسباب التي أدت إلى ظهور هذا النوع من الكتابات في الأندلس؟

وكيف رد علماء الإسلام على الشبهات التي أثارها المشككون حول عقيدة التوحيد في الأندلس؟

للإجابة عن هذه الأسئلة ارتأينا تقسيم هذه المقالة إلى ثلاثة مباحث:

- **المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم المناظرات الدينية**
  أولا: المعنى اللغوي
  ثانيا: المعنى الاصطلاحي
- **المطلب الثاني: الأصول التاريخية للمناظرات الدينية وأسباب ظهورها في الأندلس**
  أولا: الأصول التاريخية للمناظرات الدينية
  ثانيا: أسباب ظهور المناظرات الدينية في الأندلس
- **المطلب الثالث: المناظرات الدينية بين المسلمين وأهل الكتاب في الأندلس**
  أولا: مناظرة ابن حزم القرطبي لابن النغريلة اليهودي
  ثانيا: مناظرة الفقيه أبي الوليد الباجي للراهب الفرنسي

- **المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم المناظرات الدينية**

أولا: المعنى اللغوي

عرف العرب المناظرة منذ القدم، ودليل ذلك وجود الجذر اللغوي لكلمة "نظر" في اللسان العربي، بالإضافة إلى مرادفات أخرى تؤدي المعنى نفسه مثل: المراء والمجادلة، والمحاورة والمجاراة والمعاندة، وإذا عدنا إلى معاجم اللغة نجد أن المناظرة في اللغة مشتقة من الند والمماثلة، والنظير في الشيء: جاء في لسان العرب: «**والتَّناظُرُ: هو التَّرَاوُضُ فِي الأَمر، ونَظِيرُكَ: الَّذِي يُراوِضُك وتُناظِرُهُ، وناظَرَه مِنَ الْمُناظَرَة، والنَّظِيرُ: المِثْلُ، وَقِيلَ: الْمِثْلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَفُلَانٌ نَظِيرُك أَي مِثْلُك لأَنه إِذا نَظَر إِليهما النَّاظِرُ رَآهُمَا سَوَاءً، ونَظِيرُ الشَّيْءِ مِثْلُه، وَحَكَى أَبو عُبَيْدَةَ: النِّظْر والنَّظِير بِمَعْنًى مِثْلَ النِّدِّ والنَّدِيدِ**»[1].

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس: «**النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه، فيقال: نظرت إلى الشيء أنظر إليه، إذا عاينته، وحَيٌّ حِلَالٌ نَظَرٌ: متجاورون ينظر بعضهم إلى بعض**»[2].

وقد تأتي المناظرة من النظر بمعنى الانتظار يقال: نظرتُ فلانًا وانتظرته، بمعنى واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ**﴾[3]، وفي حديث أنس: «**نظرنا النبيَّ صلى الله عليه وسلّم ذات ليلة حتى كان شطر الليل**»[4]، أي انتظرنا، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

أَبَا هِنْدٍ فلا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِينَا[5]

ومن هذا المعنى أخذ علماء المناظرة ضرورة انتظار الخصم لعرض حججه وأدلته المنطقية، وعدم مقاطعته.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد أن كلمة المناظرة تدور حول معنيين:

أولهما: النظر الذي هو الحس المادي والرؤية المباشرة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[6]،

ثانيهما: النظر بمعنى التفكر والتأمل، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ**﴾[7].

فكلمة النظر في القرآن الكريم ترجع إما إلى التأمل في المخلوقات بعين العقل والتفكر فيها، وإما إلى النظر المادي ومعاينة الموجودات بحاسة البصر.

ثانيا: المعنى الاصطلاحي

أما المناظرة في الاصطلاح فقد عرفها الجرجاني بقوله: «**النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب**»[8]، وعرفها الآمدي بقوله: «**تردد الكلام بين شخصين يقصد كل منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق**»[9].

ومن هذه التعاريف يظهر أن المناظرة لا تسمى كذلك حتى تجمع الأمور التالية:

أولاً: أن تكون بين شخصين أو جانبين مختلفين، ويظهر ذلك من تعبير الآمدي بقوله: "**بين شخصين**"،

ثانيا: أن يكون الهدف منها إظهار الحق والصواب، ويظهر ذلك من تعبير الجرجاني بقوله: **"إظهاراً للصواب"**.

وتطلق المناظرة أحيانا على المراء، وهو استخراج الأدلة المخالفة للحق والصواب، قال ابن الأثير الجزري: «**والتماري والمماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة، ويقال للمناظرة: مماراة، لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه، كما يمتري الحالب اللبن من الضرع**»[10].

كما تأتي المناظرة بمعنى المجادلة التي هي الدفاع عن المعتقدات الخاصة، كما أن المناظرة والجدل تنقسم من حيث الحكم إلى قسمين:

القسم الأول: جدل وتناظر مذموم، ويظهر هذا المعنى من خلال القرآن الكريم بعد أن جادل إبليس عن نفسه أمام الله جل جلاله ليبرر عصيانه لأمره تعالى بالسجود لآدم، قال تعالى: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾[11]، ومنها قول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[12].

أما القسم الثاني: فهو المجادلة المحمودة وتظهر من خلال قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[13].

وقد ورد ذكر المناظرة في كلام رسول الله، كما دلت السنة النبوية على مشروعية المناظرة وجوازها، ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**﴾[14]، قال ابن حزم معلقا على هذا الحديث: «**وهذا حديث في غاية الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله**»[15].

ومن هذه التعريفات يظهر أن المناظرة في الاصطلاح هي: المحاورة في الكلام بين جانبين مختلفين في قضية ما إظهارا للحق والصواب، ولم يذهب علماء المناظرة في تأصيلهم لهذا الفن بعيدا عن هذه المعاني الواردة في المعاجم اللغوية، حيث ذكروا جميعهم أن من شروط المناظرة أن يكون الطرفان نظيران، وقرروا أن من آدابها أن ينظر كل طرف إلى الطرف الآخر فلا يعرض عنه، وينتظره كي يسمع حجته ودليله.

- **المطلب الثاني: الأصول التاريخية للمناظرات الدينية وأسباب ظهورها في الأندلس**

أولا: الأصول التاريخية للمناظرات الدينية

بعد أن عرفنا المعنى اللغوي والاصطلاحي للمناظرة وما يقاربها من كلمات ومفردات، يجدر بنا أن نسلط الضوء على كل ما من شأنه أن يعطي فكرة واضحة عن بدء ظهور هذا الفن في التراث العربي، فالمناظرات الدينية لم تكن وليدة فترة زمنية متأخرة، كما لم تكن وقفًا على عصر دون غيره، فإذا كان لكل علم وفن جذور تاريخية؛ فجذور هذا النوع من الكتابة الأدبية يظهر بشكل واضح مع البدايات الأولى للعصر الإسلامي.

وحيث إن المناظرات الدينية تسمح بتأسيس رؤية صحيحة عن الأنا الشخصي المختلف عن الآخر في معتقده وشريعته، وتمكن من الوقوف على عناصر الائتلاف والاختلاف معه، ولما كانت هذه المناظرات رمزا من رموز القبول والاعتراف بالغير، ووسيلةً من وسائل تدبير الاختلاف معه، انخرط المسلمون منذ وقت مبكر في هذا التناظر والجدال الديني مع المخالفين؛ وغرضهم من ذلك خلق

فضاء للتعايش السلمي والتكامل المجتمعي، والدفاع عن صحة العقيدة الإسلامية، والدعوة إليها بأسلوب قائم على الإقناع وقرع الحجة بالحجة، بعيداً عن التعصب والانغلاق على الذات، والإعراض عن الآخر.

في ضوء هذا التمهيد يمكن أن نتحدث عن نشأة المناظرات الدينية كنتيجة طبيعية لزول الوحي وظهور الرسالة المحمدية، حيث أثارت العقيدة الإسلامية العديد من القضايا الكونية والإنسانية التي كانت شبه مستقرة في الثقافة العربية، الشيء الذي أدى إلى نشوء حالة من الجدل والنقاش والحوار والمناظرة حول الكثير من القضايا والمسائل الوجودية المتعلقة بالمعتقدات وبما وراء المادة، كمسألة التوحيد والبعث واليوم الآخر، وقد ذكر القرآن الكريم العديد من المناظرات والمحاورات بموضوعية ونزاهة مطابقة لمسلمات العقل والحقيقة المنطقية، حيث واجهت نصوص القرآن الكريم حجج المخالفين بالأدلة والبراهين الدامغة، كما نقلت نصوصه محاورات الرسل والأنبياء مع أقوامهم، واستمر هذا النوع من المناظرات في مجالس العلماء والفقهاء والمتكلمين والمحدثين والشعراء، كما احتضنته بعد ذلك مجالس الخلفاء وأمراء الإسلام فيما يشبه الرعاية الرسمية للمناظرة من قبل الدوائر الرسمية للدولة، كما شغلت المناظرات الدينية مساحات كبيرة في اهتمام المتكلمين والفلاسفة، وغدت ممارسة راسخة في الثقافة العربية الإسلامية، تجلت بشكل واضح في الكتابات والمؤلفات الدينية، والأشعار والخطب، والمساجلات الشفوية، فنضج هذا الفن لغدو علما قائما بذاته ووسيلة من وسائل الدفاع عن مسائل الشريعة ورد الاعتراضات والشبهات التي تُثار حولها.

وقد جرت في عصر رسول الله ﷺ مناظرات عديدة حيث تناظر عليه الصلاة والسلام مع نصارى نجران، فتجادلوا في نبوته وفي دين إبراهيم وعيسى ابن مريم، قال ابن عباس: «**اجتمعت نصارى نجران، وأحبارٌ من اليهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتنازعُوا عنده، فقالت الأحبارُ: ما كان إبراهيمُ إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً، فأنزل الله عَزَّ وجَلَّ على لسان رسوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾**»[16]، وقد كان غرض النصارى من هذه المناظرة هو رد الناس عن دينهم، والتعصب للزور والباطل، ورغم هذا التعصب الواضح لم يُبدِ الرسول أي رفض وامتعاض من محاورة هذه الفئة والردّ على خرافاتها وأباطيلها.

كما أن المناظرة الدينية في الشريعة الإسلامية كانت مسيجة بالوحي القرآني فقد وردت آيات عديدة تدعو مجادلة أهل الكتاب بالتي أحسن، من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتابِ إلا بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[17]، أي إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حُججه، وقوله جل جلاله: ﴿**ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِن رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ**﴾[18]، وأقر الإسلام حقيقة أن الجدال مع الآخر لا يتم إلا في إطار الاعتراف به، وإعطائه الحق في الدفاع عن خصوصياته، والمنافحة عن معتقداته.

ومن هذه الآيات استلهم علماء الإسلام منهجهم وطريقتهم في المناظرة، حيث كانت ثقافة المسلمين عبر الأزمنة تقبل فكرة الآخر والإنصات إليه وعدم احتقاره وسبّ دينه ومعتقداته، وهذا دليل على نضج ورقيّ فقهاء الإسلام وعلمائهم، فلا أحد من الناس يمتلك الحقيقة المطلقة سوى الرسل والأنبياء، ولا أحد معصوم من الزلل والخطأ سواهم، لأن الحقيقة المطلقة هي من الله سبحانه وتعالى، كما أن المسلم ليس مجبرا على إقناع الآخر وإخضاعه، قال تعالى: ﴿**لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾[19]، فالهداية من الله، واعتماد الحق هبة منه سبحانه، وأهواء الناس لا ترضخ للحق أول وهلة، وبعد كل مناظرة، بل إن الأمر يتطلب الصبر واللين والكياسة، وبهذا الطريق عرفت حضارة المسلمين، وعلى إثره أُسّست العديد من الفرق والنحل والجماعات، وكتبت العديد من المجلدات التي أغنت المكتبة العربية الإسلامية.

ونقل الراغب الأصفهاني في كتاب "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: «**أن متكلّمِين اجتمعا، فقال أحدهما: هل لك في المناظرة؟ قال: على شرائط: ألا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تُقبِل على غيري وأنا أكلّمك، ولا تجعل الدعوى دليلًا، ولا تجوّز لنفسك تأويل آية إلا جوّزتَ لي تأويل مثلِها، وعلى أن تُؤْثِرَ التصادق، وتنقاد للتعارف، وعلى أن كلًّا منا يبني مناظرته على أن الحقَّ ضالَّته، والرشد غايتُه**»[20]، وعلى هذا فالمناظرات الدينية وجدت سبيلها في الفكر الإسلامي مع بزوغ فجر النبوية وظهور الإسلام، وتطورت إلى أن أصبحت فنا قائما بنفسه له خصوصياته وقواعده العلمية المضبوطة.

ثانيا: أسباب ظهور المناظرات الدينية في الأندلس

شهدت الأندلس مع مطلع (القرن الهجري الخامس، القرن الحادي عشر الميلادي) تغيرات سياسية عميقة، بسبب الصراعات والفتن المدمرة التي أودت بالخلافة الأموية وحولتها إلى أشلاء ممزقة، فنجم عن ذلك غياب السلطة المركزية، والاستيلاء على جهات الأندلس من طرف دويلات المماليك الطائفية التي وصل تعدادها إلى نحو عشرين دويلة حكمها أمراء الجند وقضاة ووزراء سابقون في دولة بني أمية، وقد استغل هؤلاء القادة الحالة السياسية التي وصلت إليها الأندلس، فبسطوا نفوذهم على المناطق التي تلي جهاتهم، وشغلوا في الكيد لبعضهم لبعض، واستغل العدو الإفرنجي في الشمال هذا الظرف وأخذ يتربص ببلاد المسلمين محاولاً التوسع على حساب الدول المتنازعة، خصوصا في عهد (فرديناند الأول) وخلفه الفونسو السادس (أدفونش بن فرديناند) الذي حاول التوسع نحو الجنوب، واستنزاف قوى الدويلات الإسلامية الصغيرة، فبعد سقوط مدينة بربشتر سنة (456هـ) احتل الفونسو السادس مملكة طليطلة سنة(478هـ)، وكان لسقوطها أعمق الآثار في قلب موازين القوى، حيث توالى سقوط المدن في يد العدو النصراني، ولم يدرك ملوك الطوائف خطورة سياستهم وعاقبة أمرهم بل تمادوا في غييهم وجبروتهم، واتخذوا لأنفسهم ألقاب الخلفاء، كالمعتمد والمعتضد والناصر والمستنصر، ما جعل عددا من الكتاب والشعراء يستصغرونهم ويسخرون منهم، ومن هؤلاء ابن رشيق القيرواني الذي قال فيهم:

مِمَّا يُزَهِّدُنِي في أرضِ أندُلُسٍ ... تلقيبُ مُعتَمِدٍ فيها ومُعْتَضِدِ
ألقَابُ مملكةٍ في غيرِ موضِعِهَا ... كالهِرِّ يحكي انتفاخًا صَوْلَةَ الأسَدِ[21]

أمام هذا الواقع تمادى النصارى الصليبيون في سطوتهم على بلاد الأندلس وعقدوا العزم على طرد المسلمين من شبه الجزيرة الإيبيرية، وإرغامهم على ترك مدنهم وحصونهم، ولم يدرك ملوك الطوائف عاقبة أمرهم وخطورة تفرقهم إلا بعد فوات الأوان، ولم يتمكنوا من استعادة صولتهم ومجد قوتهم إلا بعد الاستعانة بإخوانهم المغاربة وراء البحر.

في مقابل ذلك عرفت البلاد نهضة علمية وأدبية بلغت أقصى درجات الازهار والتطور، وانتشر الأدباء والعلماء في جميع المماليك وقامت منافسة في جل الميادين العلمية والأدبية، حتى سمي عصر ملوك الطوائف بالعصر الذهبي للفنون والمعارف، كما أن حالة التداعي المستمر والضعف الذي دبّ في جسم الدويلات الإسلامية شجع أعداء الملة على القيام بمنافسة علمية تمثلت في الكتابات التي تروم الحط من شأن العرب الفاتحين، ومهاجمة شريعتهم، أضف إلى ذلك أن ضعف الوازع الديني والأخلاقي الذي عرف به عدد من أمراء المماليك الطائفية جعلهم يميلون إلى موالاة أهل الكتاب، وتقريبهم إلى مجالسهم، فمن الأمراء من كان يختار وزرائه وكتابه من اليهود والنصارى، وهي صفة حرمها الله في كتابه العزيز حين قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[22]، وفي هذه الآية ما يشير إلى تحريم موالاة أعداء الله تعالى، وإسناد الأمور الجسيمة إليهم، لأن الفطرة البشرية تقتضي أن يميل كل شخص إلى شيعته، ويدافع كل واحد عن

ملته وأهل دينه، وفي المسلمين غنية عن أعداء الله، ولو بلغوا في حذق إدارة الشؤون السياسية مبلغا عظيما، وهذا ما يؤكد عليه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حين كتب إلى أحد عُمَّاله قائلا: «**أمَّا بعد، فإن الله عز وجل، أكرم بالإسلام أهله، وشرفهم وأعزهم، وضرب الذلة والصغار على من خالفهم، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فلا تولين أمور المسلمين أحداً من أهل ذمتهم وخراجهم، فتتبسط عليه أيديهم وألسنتهم، فتذلهم بعد أن أعزهم الله، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى، وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم، ومع هذا فلا يؤمن غشهم إياهم، فإن الله، عز وجل، يقول: ﴿لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم﴾... والسلام**»[23].

حدث هذا الأمر مع باديس بن حبوس الصنهاجي[24] (أمير غرناطة)، بعد أن رفع من شأن اليهود في مملكته، وعين يوسف بن النغريلة[25]، كاتبا للديوان ومديرا لشؤون الإمارة، وكان في هذا الفعل سبب للتشنيع عليه، وانتقاده من قبل الخاصة والعامة، حيث نظم أبو إسحاق الإلبيري[26] قصيدة شعرية كانت سببا في مقتل ابن النغريلة، وقيام ثورة شعبية ضد اليهود المقيمين في غرناطة، قال فيها: (المتقارب)

أَلا قُل لِصِنهاجَةٍ أَجمَعين بُدورِ النَدِيَّ وَأُسدِ العَرين
لَقَد زَلَّ سَيِّدُكُم زَلَّةً تَقِرُّ بِها أَعيُنُ الشامِتين
تَخَيَّرَ كاتِبُهُ كافِراً وَلَو شاءَ كانَ مِنَ المُسلِمين
فَعَزَّ اليَهودُ بِهِ وَانتَخَوا وَتاهوا وَكانوا مِنَ الأَرذَلين[27]

كما كان للحالة المعقدة التي تكون منها المجتمع الأندلسي أثر في ظهور التيارات الفكرية المتضاربة، حيث تشكل الجزء الكبير من سكان الجزيرة الإيبيرية من المواطنين الأصليين الذين كان لهم إحساس بالظلم، وشعور بأن المسلمين الفاتحين مجرد غزاة احتلوا أرضهم وسكنوا منازلهم، فمن هذه الفئة من اعتنق الإسلام وانصهر في ثقافته، (كالمولدين) و(الصقالبة) الذين كان يؤتى بهم من بلاد الإفرنجة ويربون في قصور الخلفاء، وبرعاية من حكام الدولة، ومنهم من بقي على دينه مجانبا لحضارة المسلمين وثقافتهم، كما ضمّ المجتمع الأندلسي العرب الفاتحين من القبائل اليمنية والقيسية وأهل الشام وغيرهم، إضافة إلى القبائل الأمازيغية التي كانت تسكن بالشمال الإفريقي، وأهل الذمة من اليهود والنصارى المسالمين.

وهذا الاختلاف في الانتماء العرقي والقبلي أورث الأندلسيين انحلالا فكريا وثقافيا واضحا، وقد اختلف الباحثون في تفسير أسباب هذا الانحلال، فمنهم من يرى بأنه كان نتيجة طبيعية للضعف السياسي الذي أصيبت به الأندلس بعد سقوط الخلافة، وتطاحن أمراء المماليك الطائفية على مناطق النفوذ والسلطة، ما جعل العنصر الصقلبي ينحاز إلى الشرق الأندلسي والتحصن في جهاته، في حين بقيت القبائل العربية مسيطرة على جزء كبير من غرب الأندلس، أما الأمازيغ فتجمعوا في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة الإيبيرية، ومنهم من يرى أن هذا الأمر وراجعٌ إلى الحرية التي أباحها ملوك الطوائف في شتى نواحي الحياة الاجتماعية والفكرية بما فيها الناحية الدينية والمذهبية، وسط هذا المناخ ظهرت التيارات الفكرية المكابرة لصوت الوحدة والمعادية لشريعة الإسلام، فما كان من علماء الإسلام إلا أن يردوا عليها بإنشاء أدب المناظرات الدينية.

كما كان من نتائج التعايش بين معتنقي الأديان السماوية الثلاثِ في أرض الجزيرة أن المناظرات كانت وافرة جدًّا بين المسلمين من جهة، واليهود والمسيحيين من جهة ثانية

وظلّت مساحة هذه المجادلات تتسع من عصر إلى آخر حيث شهدت قصورُ الأمويّين، والعامريّين والطوائف ألوانًا من هذه المساجلات، كالمساجلات الأدبية والسياسية والدينية، وصارت موضوعاتها مادة خصبة لحركة الفكر الأندلسي، ومناظرات أبي محمد بن حزم، وأبي الوليد الباجي من أشهر المساجلات التي تعكس بشكل واضح هذا النوع من التوجه الفكري والأدبي.

المطلب الثالث: المناظرات الدينية بين المسلمين وأهل الكتاب في الأندلس

أولا: مناظرة ابن حزم القرطبي لابن النغريلة اليهودي

في إحدى بيوتات قُرطبة من سنة (384هـ/994م) ولد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد الظاهري الذي أصبح سيد عصره في العلم والأدب والفقه، يُنسب ابن حزم إلى أسرة اختلف المؤرخون في أصلها، فمنهم من ذكر أن أصولها من بلاد فارس، ومنهم من ذكر أن أصول أسرته من لبلة في غرب الأندلس، ومن المعلوم أن ابن حزم نشأ في بيت عزّ ومال وجاه، طلب العلم وهو صغير السن، وطالما صرّح بأنه طلب العلم عن حب ورغبة وكان لا يبتغي من وراء تحصيله مالا ولا جاها كما كان شأن كثير من طلبة العلم في زمانه، ويظهر هذا الأمر واضحا في المناظرة الشهيرة التي دارت بينه وبين أبي الوليد الباجي حين قال له: «**أنا أعظم منك همّة في طلب العلم؛ لأنك طلبته وأنت مُعان عليه، فتسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق، فقال له ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك؛ لأنك إنما طلبتَ العلم وأنت في هذه الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حال ما تعلمه وما ذكرته، فلم أرجُ به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة**»[28]، حفظ القرآن الكريم ورواية الشعر، وأتقن فن الخط على يد نساء القصر الذي ترعرع فيه، وقد اعترف بفضل تربية النساء عليه في كتاب طوق الحمامة قائلا: «**لقد شاهدتُ النساء، وعلمتُ من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري؛ لأني رُبيت في حجورهن، ونشأتُ بين أيديهن ولم أعرف غيرهن، ولا جالستُ الرجال إلا وأنا في حد الشباب، وهُنّ علّمنني القرآن، وروّينني كثيرًا من الأشعار، ودرّبنني في الخط، ولم يكن كدّي وإعمال ذهني مذ أول فهمي، وأنا في سن الطفولة جدًا، إلا تعرّف أسبابهن، والبحثُ عن أخبارهنّ، وتحصيل ذلك**»[29].

اضطرت أسرته إلى الانتقال عن قرطبة سنة (404هـ) إلى شرق الأندلس في مدينة ألمرية بعد أن اشتعلت نار الفتنة في قرطبة فانتقلت حالهم من حياة النعيم، ولذة القصور إلى حياة الهجرة والتنقل ما بين شاطبة وألمرية وقرطبة وبلنسية، وكان ابن حزم من أشد المدافعين عن البيت الأموي وعن أحقيتهم في الخلافة والاستمرار في حكم الأندلس، واشتهر بتبنيه للمذهب الظاهري فبعد أن تبحر في أصول المذهب المالكي والمذهب الشافعي، عدل عنهما إلى المذهب الظاهري الذي نلحه ونهج طريقه وجادل عنه ووضع الكتب في تفسيره وبسطه، وكان ينادي برفض القياس الفقهي الذي يعتمده الفقه الإسلامي التقليدي، وكان يؤكد على وجوب حصول دليل شرعي واضح من القرآن أو من السنة لتثبيت حكم ما، يقول عنه ابن حيان: «**كان رحمه الله حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب، مع المشاركة في أنواع التعليم القديمة من المنطق والفلسفة وله كتب كثيرة لم يخل فيها من غلط لجرأته في التسور على الفنون، لا سيما المنطق فإنهم زعموا أنه زل هناك، وضل في سلوك تلك المسائل، وخالف أرسطو طاليس واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه، ومال أولا إلى النظر على رأي الشافعي، وناضل عن مذهبه حتى وسم به فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء، وعيب بالشذوذ، ثم عدل إلى قول أصحاب الظاهر، فنقحه وجادل عنه، وثبت عليه إلى أن مات**»[30].

لم يظهر نبوغ ابن حزم في أدب المناظرة إلا بعد تبحره في علوم الدين والفلسفة والفقه، وقد تميز أسلوبه في المناظرة بالوضوح وعدم التكلف ومحاولة الوصول إلى غرضه عن طريق الاسترسال في الرد على مخالفيه بتكرار الحجج والبراهين، كما عرفت طريقته في الجدال بالحدة، حيث كان شديد اللهجة مع مخالفيه من المالكية وأهل الكتاب وكان يقول: «**فمن استطاع إنكارا فليبرز صفحته ولياظر**

مناظرة العلماء فمن عجز عن ذلك فليسأل سؤال المتعلمين أو ليسكت سكوت أهل الجهل»[31]، لذلك قالوا أن لسانه وسيف الحجاج شقيقان[32].

أما عن إسهاماته العلمية فابن حزم يعد من أكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا بعد الطبري، ألف ابن حزم في الأدب كتاب طوق الحمامة، وألف في الفقه وفي أصوله، وشرح منطق أرسطو وأعاد صياغة الكثير من المفاهيم الفلسفية، من أشهر كتبه: (الفصل في الملل والأهواء والنحل) (المحلى شرح المجلى) (طوق الحمامة) (الإحكام في أصول الأحكام) (الأخلاق والسير) (التلخيص لوجوه التخليص) (التقريب لحد المنطق بالألفاظ العامية) (نقط العروس).

وتوافرت لابن حزم الأدوات العلمية للمناظرة الدينية، فقد ناظَرَ عددا من العلماء اليهود والنصارى، وكان له معهم مساجلات مشهورة وأخبار مكتوبة، اطَّلَع على كتبهم ومؤلفاتهم، وعايش طبائعهم وأخلاقهم عن كثب، كما كان للظروف السياسية التي ذكرناها نصيب في توجيه فكر ابن حزم لمواجهة اليهودية ومناقشتِها خصوصا بعد أن بلغ اليهود في الحكومات الأندلسية مراتب عالية، حيث بلغ التسامح مداه في إمارة غرناطة على عهد بني زيري، إذ تولى إسماعيل بن النغريلة اليهودي منصب رئيس الوزراء، وهو أرفع منصب في الدولة بعد منصب الأمير، يشهد على ذلك ما كتبه بن حيان وهو المعاصر له: «**وكان هذا اللعين في ذاته، على ما زوى الله عنه من هدايته، من أكمل الرجال علما وحلما وفهما، وذكاء... ناهيك من رجل كتب بالقلمين، واعتنى بالعلمين، وشغف باللسان العربي، ونظر فيه وقرأ كتبه، وطالع أصوله... ولا يقصر فيما ينشئهّ عن أوسط كتاب الإسلام، فجمع لذلك السجيح في علوم الأوائل الرياضية وتقدم منتحليها بالتدقيقّ للمعرفة النجومية، ويشارك في الهندسة والمنطق، ... وكان قد حمل ولده يوسف المكنى بأبي حسين المعلمين على مطالعة الكتب، وجمع إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية يعلمونه ويدارسونه، وأعلقه بصناعة الكتابة** »[33] .

وقد كتب ابن حزم رسالة مشهورة في الرد على ابن النغرلة اليهودي بعد أن تطاول على شريعة الإسلام، وشكك في نصوص القرآن الكريم، عُرِفَتْ باسم: **"رسالة في الرد على ابن النغريلة"**.

فما هو موضوع هذه الرسالة؟

وكيف رد ابن حزم على ادعاءات ابن النغريلة اليهودي؟

ناقش ابن حزم في رسالته هذه قضايا سياسية ومواضع عقدية كثيرة أجملها في قسمين:

القسم الأول: خصصه للرد على ابن النغريلة، وللمسائل التي روجها لها حول نصوص القرآن الكريم، وما ادعاه فيها من تناقض.

القسم الثاني: الكشف عن الخرافات والأكاذيب المبثوثة في نصوص التوراة، وفضح التناقضات الظاهرة فيها.

ومما جاء في مقدمة هذه الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله، قال أبو محمد علي بن أحمد بن حزم رضى الله عنه:

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً، وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وسلم تسليماً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ربما كانت سبباً إلى انقراض أعمارهم وعوناً لأعدائهم عليهم عن حياطة ملتهم التي بها عزوا في عاجلتهم، وبها يرجون الفوز في آجلتهم، حتى استشرف لذلك أهل القلة والذمة، وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك بما لو حقق النظر أرباب الدنيا لاهتموا بذلك ضعف همنا؛ لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء والحمية للملة الغراء، ثم هم بعد متردون بما يئول إليه إهمال هذه الحال من فساد سياستهم، والقدح في رياستهم، فللأسباب أسباب، وللمداخل إلى البلاء أبواب ، والله أعلم بالصواب.

وقد قال على بن العباس:

لا تحقرن سُبَيْباً كم جرَّ أمراً سُبَيْبُ

وقال أبو نصر بن نباتة:

فلا تحقرن عدواً رماك وإن كان في ساعديه قصر

فإن السيوف تجذ الرقاب وتعجز عما تنال الأبر

لا سيما إن كان العدو من عصابة لا تحسن إلا الخبث مع مهانة الظاهر، فيأنس المغتر إلى الضعف البادي، وتحت ذاك الختل والختر والكيد والمكر، كاليهود الذين لا يحسنون شيئاً من الحيل، ولا آتاهم الله شيئاً من أسباب القوة، وإنما شأنهم الغش والتخابث والسرقة على التطاول والخضوع مع شدة العداوة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فإن بعض من تقلى قلبه للعداوة للإسلام وأهله، وذُوِّبَت كبده ببغض الرسول صلى الله عليه وسلم، من متدهرة الزنادقة المستترين بأذل الملل وأرذل النحل من اليهود التي استمرت لعنة الله على الموقومين بها، واستقر غضبه ـ عز وجل ـ على المنتمين إليها ... أطلق الأشرُ لسانه، وأرخى البطر عنانه، واستشمخت لكثرة الأموال لديه نفسه المهينة، وأطغى توافر الذهب والفضة عنده همته الحقيرة، فألف كتاباً قصد فيه ـ بزعمه ـ إلى إبانة تناقض كلام الله ـ عز وجل ـ في القرآن؛ اغتراراً بالله تعالى أولاً، ثم بملكٍ ضعفةٍ ثانياً، واستخفافاً بأهل الدين بدءاً، ثم بأهل الرياسة فى مجانة عَوْداً.

فلما اتصل بي أمر هذا اللعين، لم أزل باحثاً عن ذلك الكتاب الخسيس؛ لأقوم فيه بما أقدرني الله ـ عز وجل ـ عليه، من نصر دينه بلساني وفهمي، والذب عن ملته ببياني وعلمي، إذ قد عدمها المشكى إلى الله ـ عز وجل ـ ووجود الأعوان والأنصار على توفية هذا الخسيس الزنديق، المستبطن في مذهب الدهرية في باطنه، المتكفن بتابوت اليهودية في ظاهره، حقه الواجب عليه، من سفك لدماء، واستيفاء ماله، وسبى نسائه وولده، لتقدمه طَوْرَه، وخلعه الصَّغار عن عنقه، وبراءته من الذمة الحاقنة دمه، المانعة من ماله وأهله، وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل.

فأظفرني القدر بنسخة، رد فيها عليه رجل من المسلمين، فانتسخت الفصول التي ذكرها ذلك الراد عن هذا الرذل الجاهل، وبادرت إلى بطلان ظنونه الفاسدة بحول الله تعالى وقوته.

ولعمرى إن اعتراضه الذي اعترض به ليدل على ضيق باعه في العلم، وقلة اتساعه في الفهم، على ما عهدناه عليه قديماً، فإننا ندريه عارياً إلا من المخرقة، سليماً إلا من الكذب، صفراً إلا من البهت، وهذه عقوبة الله تعالى المعجلة لمن سلك مسلك

هذا الزنديق اللعين مقدمة، أما ما أعد الله له ولأمثاله من الخلود في نار جهنم، فهو المقر لعيون أولياء الله ـ عز وجل ـ فيه وفي ضربائه، وبالله تعالى التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»[34].

يخبرنا ابن حزم في مقدمة هذه الرسالة عن الأسباب التي عجلت بالتصادم الفكري بينه وبين شيخ اليهود في غرناطة الوزير ابن النغريلة، والخلاف قائم بين الباحثين حول تحديد الشخصية التي ناظرها ابن حزم، هل هو إسماعيل بن النغريلة الأب، أم هو يوسف بن النغريلة الابن، حيث ذهب فصيل من المؤرخين إلى أن المحاور هو إسماعيل ابن النغريلة، في حين ذهب فصيل آخر إلى أن المحاور هو يوسف ابن النغريلة الابن، وسبب ذلك أن ابن حزم لم يذكر في رسالته هذه صراحة اسم الشخصية التي وجه إليها خطابه.

والراجح أنه ناظر الأب والابن، فقد أقر هو ذاته بهذا الأمر، حيث التقى أشموال بن يوسف اللاوي (سنة404هـ) وربما كان هذا اللقاء في قرطبة، قبل انتقال هذا الأخير إلى غرناطة والدخول في خدمة بني زيري، ثم بعد ذلك كانت له مناظرات مع ابنه يوسف وزير باديس بن حبوس الزيري، بعد أن استفحل أمره وقويت شوكته، وصار هو الآمر الناهي بإمارة غرناطة، وهو المعروف عنه تكبره وتجبره واستخفافه بالأديان، فيكون ابن حزم ناظر بادئ الأمر ابن النغريلة الأب حول التوراة وما جاء فيها من أخطاء وما لحقها من تحريف، وناظر في وقت لاحق ابن النغريلة الإبن مزريا عليه ادعائه بوجود تناقضات في القرآن الكريم، وهو المقصود في مقدمة رسالته حين قال فيه: **"فلما اتصل بي أمر هذا اللعين، لم أزل باحثاً عن ذلك الكتاب الخسيس؛ لأقوم فيه بما أقدرني الله"**.

ومن هذه الفقرة نستخلص أن الخصومة الفكرية بين ابن حزم وابن النغريلة كانت بسبب أن هذا الأخير ألف كتابا ينتقد فيه القرآن ويصفه بالتناقض، ويرى ابن حزم أن تطاول هذا اليهودي على كلام الله قدح في مقدسات الدين، واستخفاف بكتاب الله وبمسلمي الأندلس وأمير غرناطة، وهو ما حرك في نفسية الرجل الشعور بالحمية الدينية والدفاع عن مقدسات المسلمين وعن ثوابت القرآن الكريم.

ومن أمثلة ردود ابن حزم في هذه الرسالة أن ابن النغريلة اعترض على ما جاء في الآية الكريمة ﴿**وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ**﴾[35]، حيث أنكر تقسيم القائلين بأن ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة فمن محمد، وأخبر أن كل ذلك من عند الله، قال: ثم قال في آخر الآية: ﴿**مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾[36]، قال ابن النغريلة: فعاد مصوبا لقولهم ومضادا لما قدم في أول الآية.

فرد عليه ابن حزم بالقول: «**لو كان هذا الجاهل الوقاح أقل بسطة أو أدنى حظا من التمييز لم يعترض بهذا الاعتراض الضعيف، والآية المذكورة مكتفية بظاهرها عن تكلف تأويل، مستغنية ببادي ألفاظها عن تطلب وجه لتأليفها، ولكن جهله أعمى بصيرته وطمس إدراكه، وبيان ذلك أن الكفار كانوا يقولون: إن الحسنات من عند الله عز وجل، وأن السيئات من عند محمد صلى الله عليه وسلم، فأكذبهم الله تعالى في ذلك، وبين وجه ورود حسنات الدنيا وسيئاتها على كل من فيها بأن الحسنات السارة من عند الله بفضله على الناس، وأن كل سيئة يصيب الله تعالى بها إنسانا في دنياه فمن قبل نفس المصاب بها بما يجني على نفسه من تقصيره في أداء حق الله الذي لا يقوم به**»[37].

كما اعترض ابن النغريلة على قول الله تعالى :﴿**نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا**﴾[38]، وتساءل: كيف يكون الماء مباركا وهو يهدم البناء ويهلك الكثير من الحيوان؟ ويرد عليه ابن حزم: «**من لم يكن مقدار فهمه وعقله إلا هذا المقدار، لقد عجل الله له العقوبة في الدنيا والحمد لله رب العالمين. وليت شعري أما درى هذا الجاهل انه لولا شرب الماء لم يكن في الأرض حيوان أصلاً لا إنسان ولا ما سواه، وأن عناصر جميع المياه الظاهرة على وجه الأرض والمختزنة في أعماقها إنما هي من مواد القطر النازل من**

السماء أما رأى هذا الأنوك ان الأمطار إذا كثرت غزرت العيون وفهقت الأنهار وطفحت البرك وامتلأت الآبار وسالت السيول وتفجرت في الأرض ينابيع حتى إذا قلت الأمطار وضعفت العيون ونقصت الأنهار وجفت البرك والآبار وانقطعت السيول وغارت الينابيع...»[39].

وهذا غيض من فيض مما دار بين ابن حزم وابن النغريلة من مناظرات ومجادلات حول مسائل عديدة، تعلقت في جوهرها بنصوص القرآن الكريم، ويبدو من لغة الرسالة أن الحوار الديني بين المسلمين واليهود في الأندلس اتسم بطابع السلم الذي هو أساس التعامل الذي يدعو إليه الإسلام، فعلى الرغم من حدة النبرة التي اتخذها السجال الظاهر من خلال لغة النص، فقد استطاع ابن حزم بأسلوبه الجدلي تغليب لغة العقل والمنطق اتجاه مخالفه.

ومن المهم أن نذكر أن هذه المناظرات كتبت باللغة العربية، وهو أمر بالغ الأهمية في الدلالة على مدى تقدم هذه اللغة وانتشارها بين أطياف المجتمع الأندلسي بحيث استعملها اليهود في مساجلاتهم ومطارحاتهم الدينية، كما أن هذا الأمر يبين مدى انفتاح غير المسلمين على الثقافة العربية، ويدل دلالة واضحة على هيمنة اللغة العربية وتفاعلها في بيئة وثقافة بعيدة عن جزيرة العرب.

والملاحظ أن أسلوب المناظرة في رسالة ابن حزم يقوم على استراتيجية منظمة تبدأ بعرض وجهة نظر الطرف الأول لتنتقل بعد ذلك إلى محاولة دحض أفكاره ومواقفه ومجابهته بالدليل المستند على نصوص الشرع، والأدلة المنطقية القائمة على العقل، بالإضافة إلى الاعتماد الكبير على تنويع أساليب الكتابة التي يحاول من خلالها إقناع المتلقي بمواقفه، فمن ذلك اعتماده على البديع اللفظي والمعنوي كالجناس في مثل قوله: (عاجلتهم/ آجلتهم)، والطباق في مثل قوله: (بدءاً/ عوداً)، والترادف: (أذل/ أرذل)، وتوظيفه للتضمين المعتمد على عيون أشعار العرب، ومستملح أبياتهم كأبيات ابن الرومي والمتنبي، وأسلوب الاستفهام كما في قوله: "**أما درى هذا الجاهل انه لولا شرب الماء لم يكن في الأرض حيوان أصلاً... أما رأى هذا الأنوك أن الأمطار إذا كثرت غزرت العيون**"، والشرط المعتمد في أساسه على اقتران أمر بأمر آخر بحيث لا يتحقق الأمر الثاني إلا بعد تحقق الأمر الأول وذلك بوجود أدوات الشرط المتوافرة في مساحة النص كحرف الميم والسين وكيفما ومتى ومهما وغيرها من الحروف كما في قوله: "**من لم يكن مقدار فهمه وعقله إلا هذا المقدار**"، وهي أساليب قصد من ورائها إقناع المخاطب بصحة رأيه وصواب منطقه، أما الاعتماد على نصوص الشرع المستمدة من كلام الله عز وجل، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يكاد يخلو منها مقطع من مقاطع الرسالة، بالإضافة إلى استدعاء نصوص التوراة التي كانت كتبها متدولة بين مثقفي الأندلس ومعروفة في مكتباتهم ومنتدياتهم.

ثانيا: مناظرة الفقيه أبي الوليد الباجي للراهب الفرنسي

لم يتوقف فن المناظرات عند العصور الأولى من ظهور الإسلام، بل استمر في نموه وتطوره حتى بلغ الغاية القصوى خلال القرنين الأول والثاني للهجرة وذلك؛ «**حينما كانت تحدث بين أصحاب الأفكار المختلفة والمذاهب المتنازعة من المسلمين، بين معتزلة وسنة وشيعة، أو بين المسلمين وغير المسلمين فيما يتصل بالعقائد، ومعروف أن إبراهيم النظام، كان يناظر غير المسلمين من أبناء الملل الأخرى فيتغلب عليهم بما أوتي من قوة خارقة في فن الجدل، وكانت هذه المناظرات التي تتصل بالعقائد تلقى تشجيعا كبيرا من الخلفاء، حتى إن المأمون كان يسمح للمتناظرين في حضرته أن يتكلموا في الملل، ويتناظروا بكل حرية وطمأنينة**»[40].

إلا أن ظهور هذا النوع من المناظرات في الأندلس كان أشد وضوحا في أدب الرسائل النثرية، فالصراعات الدائمة بين المسلمين والنصارى الصليبيين تجاوزت حدود الحرب الميدانية إلى الحرب الفكرية المرتبطة بالحركة الدينية التي أقامها عدد من الكتاب المتعصبين

لانتمائهم الديني والعقدي، ومن الكتب التي تكشف عن العلاقة الجدلية بين الإسلام والنصرانية، رسالة خطها راهب فرنسي[41]، إلى المقتدر بن هود (حاكم سرقسطة)، يدعوه إلى التخلي عن الإسلام والدخول في النصرانية، يشرح فيها أسس هذا الدين وقواعده ومحاسنه، ومما جاء في هذه الرسالة قوله: «**إلى الصديق الحبيب الذي نؤمله أن يكون خليلا مدانيا، المقتدر بالله على دولة هذه الدنيا، الملك الشريف، من الراهب أحقر الرهبان، الراغب في الإنابة والإيمان بالمسيح يسوع، ابن الله سيدنا...**»[42].

بهذه الكلمات الفخمة، والعبارات الرقيقة التي تدل على الفخر والاعتزاز والتقدير، خاطب الراهب الفرنسي ابن هود لكسب وده والقبول بدعوته، ليشرع بعد ذلك في عرض موضوع الرسالة قائلا: «**لما انتهى إلينا أيها الأمير العزيز أمرك الرفيع في الدنيا وبصيرتك في تبيين أحوالها المتغيرة، رأينا أن نراسلك وندعوك، لتؤثر الملك الدائم على الملك الزائل الفاني... ولن يسعنا أن نتراخى عن الاجتهاد في تتميم هذه المصلحة بجميل معونته لتشترك معنا في ملكوته إن آثرت ذلك، ولهذا الأمر، أشخصنا إليك من إخواننا من يورد عليك كلاما إلهيا، على ما يوفقهم الله إليه، ويشرحون لديك حقيقة دين النصارى، ويقررون عندك معرفة المسيح سيدنا الذي لا ينبغي لنا الإيمان بأحد سواه ولا نرتجي النجاة إلا به، فهو الإله الذي اتخذ حجابا على صورتنا لينقذنا بدمه الطاهر من هلكة إبليس...**»[43].

والظاهر من هذا المقطع أن سياسة التسامح الديني التي عرفت عن ملوك بني هود مع رعاياهم من أهل الذمة سواء كانوا مسيحيين أو يهودا هي التي شجعت هذا الراهب ودعته إلى كتابة هذه الرسالة، وإرسالها رفقة راهبين اثنين ليشرحا له حقيقة دين النصارى، ويظهرا له تضحيات المسيح (الرب الذي اتخذ صورة البشر)، ليقدم دمه قربانا في سبيل تخليص أتباعه من غواية الشيطان، ويواصل هذا الراهب كلامه بالقول: «**ولما كانت الدنيا من قبل معمورة بالضلال، والعالم مدنسا بعبادة الأوثان، حسن عند الله القادر في آخر العهد أن يعيد الزمان جديدا، ويستدرك الصلاح الذي فات العالم في آدم الوالد الأول، وذلك أمر قد اهتدى إليه آباؤنا من قبل؛ إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والأنبياء أفصحوا به من بعدهم، وهو عهد من الله مؤكد قبل التوراة أن يكون الالتحام المقدس معلوما، وليس هذا مما تختص به مصاحفنا فقط، بل هو منصوص عليه في مصاحف اليهود والمخالفين لنا ببيان واضح...**»[44].

ويستمر الكاتب في إظهار عقيدته، مظهرا للمزايا التي دعت إليها تعاليم المسيحية في محاولة لاستقطاب المخاطب، والتأثير عليه برد المسلمين أفرادا وجماعات عن دينهم وإقناعهم بالدخول في النصرانية، ومعلوم أن النصارى المعاهدين ما كان لهم أن يجرؤوا على مخاطبة ملوك الأندلس بمثل هذه الرسائل قبل أن يدب الضعف والخور في نفوسهم، فالجدل الديني لم يكن مطروحا في القرون الأولى من وجود المسلمين بالأندلس إلا بعد أن فشا فيهم الفساد وتجرأ عليهم الأعداء، وخاطبوهم مخاطبة العبد الضال التائه عن طريق الله، وهذا ما يظهر من كلام الكاتب وهو يخاطب المقتدر بقوله: «**فاعتبر أيها الملك الشريف ولا تؤثر شيئا على نجاة نفسك يوم الحكم والجزاء، فإنا مخلصون في خدمة أمورك، ومسارعون إلى تفديتك بنفوسنا... وإن لم يظهر لك يا أيها الحبيب مراجعتنا بجوابك على ما تضمنه كتابك لآفات الكتب، فأودع ذلك إخواننا هؤلاء وأطلعهم على سرك، وما يتمثل في نفسك، ونحن نضرع إلى سيدنا يسوع المسيح أن يتولى رعايتك، ويتكفل سلامتك، ويهديك إلى دينه المقدس، ويسعدنا بالإيمان الصحيح به آمين**»[45].

وبعد توصل المقتدر بهذه الرسالة، عهد إلى العالم الفقيه أبي الوليد الباجي أن يخط رداً باسمه إلى الراهب الفرنسي لتفنيد كلامه، وبيان ما تنطوي عليه دعوته من بطلان وتناقض، فمن هو أبو الوليد الباجي؟ وما هو مضمون الرسالة التي خطها على لسان المقتدر؟

رد أبي الوليد الباجي على الراهب الفرنسي:

ذكرنا أن الأندلس عرفت في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وضعية سياسية متأزمة، وانهارت معها الروح المعنوية للأندلسيين في طلب الجهاد، ومدافعة الأعداء الصليبيين الذين تجاوزوا المطالبة بأخذ الأموال إلى السيطرة على الحصون والمدن، حتى صارت دولتهم نهبا لكل مغامر أنس من نفسه الغلبة والقوة، وإزاء هذا الوضع ظهرت جماعات من العلماء والأئمة والفقهاء الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن المقومات الدينية للأمة الأندلسية، ومن أبرز شخصيات هذا العصر شخصية أبي الوليد الباجي، الذي ظهر كواحد من أكثر فقهاء الأندلس غيرة على مستقبل بلده، ولد سنة (403هـ) بمدينة بطليوس التي انتقل منها جده إلى باجة فنسبوا إليها، تلقى تعليمه على يد كبار العلماء في عصره، وفي سنة (426هـ)، رحل إلى المشرق العربي، وأقام بمكة وبغداد مدة طويلة من الزمن، يأخذ علم الحديث والفقه من علماء تلك الأقطار، ليعود إلى الأندلس سنة (439هـ)، بعد أن قضى في رحلته هذه مدة ثلاث عشرة سنة، يصف ابن بسام شخصية هذا العالم بقوله: « **نشأ أبو الوليد هذا وهمته في العلم تأخذ بأعنان السماء، ومكانه من النثر والنظم يسامي مناط الجوزاء، وبدأ في الأدب فبرز في ميادينه، واستظهر أكثر دواوينه، وحمل لواء منثوره وموزونه... ومال إلى علم الديانة، وقد كان قبل رحلته تولى إلى ظله، ودخل في جملة أهله، فمشى بمقياس، وبنى على أساس، فلم يبعد أن أصبح نسيج وحده، في حله وعقده، حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه، ويرتاحون إلى الأخذ عنه**»[46].

وبعد رجوع أبو الوليد الباجي إلى بلده أقبل الناس حوله، واجتمع إليه طلبة العلم من أهل الأندلس، ففشى علمه وكثر ذكره، فأجزل الأمراء صلاته واستعملوه في مراسلاتهم، وولوه القضاء بمواضع كثيرة من الأندلس، وقد أشار المقري إلى هذه المكانة بقوله: «**وكان لمّا رجع إلى الأندلس فشا علمه، وتهيأت الدنيا له، وعظم جاهه، وأجزلت له الصلات، فمات على مال وافر، وترسل للملوك، وولي القضاء بعدة مواضع رحمه الله**»[47].

وكانت الأندلس وقت رجوع الباجي إليها على حال سيئة، فقد انتزى كل رئيس بجهة من جهاتها، وانصرف إلى الاهتمام بحياته الخاصة ومصالحه الذاتية دون الالتفات إلى مصالح الرعية، وكثرت الخلافات بين هؤلاء الرؤساء وثار الشقاق ووقعت الفتنة في أغلب الجهات، يتحدث ابن بسام عن حال الأندلس عند رجوع أبي الوليد قائلا: «**نازعه هوى نفسه، إلى مسقط رأسه، ومنبت غرسه، من أرض الأندلس، فورد وعشب بلادها ناب وظفر، وصوب عهادها دم هدر، ومالها لا عين ولا أثر، وملوكها أضداد، وأهواء أهلها ضغائن وأحقاد، وعزائمهم في الأرض فساد وإفساد**»[48]، فطاف بلاد الأندلس متنقلا بين مدنها وحواضرها يلم شتات حكامها ورؤسائها، يؤلف قلوبهم، ويجمع كلمتهم، مستغلا فرصة تصدره لمجالس العلم وقيامه على منابر المساجد وإجلال رؤساء المماليك الطائفية لقدره، مجتهدا في الدعوة إلى الجهاد وبث روح الحمية الدينية في النفوس، كما برزت مواقفه النضالية من خلال مصنفاته وكتاباته ومناظراته التي دافع من خلالها عن أصول الشريعة الإسلامية، ورد فيها على كثير من أهواء أهل البدع والإلحاد.

وقد رد أبو الوليد الباجي على رسالة الراهب الفرنسي بما يفيد بطلان عقيدتها، وزور منطقها قائلا: «**بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم، العزة لله، والصلاة على رسوله.**

تصفحت أيها الراهب الكتاب الوارد من قبلك، وما مَتَتَّ به من مودّتك، وأظهرته من نصيحتك، وأبديته من طويتك، فقبلنا مودتك لما بلغنا من مكانتك عند أهل ملتك، واتصل بنا من جميل إرادتك، ونبهتنا لعمر الله بنصيحتك، على ما يلزمنا من ذلك لك، ولولا ما كنا نعتقد من بعد مستقرك، وتعذر وصول كتابنا إليك، لكنا أحرياء أن نأتي من ذلك ما يلزم، ونسلك منه السبيل الأوجب، ولكنت عندنا جديرا بعرض الحق عليك وإيصاله إليك، فقد قرر لدينا من وصل من رسلك،

وأهل ملتك ما تظهره من حرصك على الخير، ورغبتك في الحق، مما قوى رجاءنا في قبولك له، وإقبالك عليه، وأخذك عليه، وأخذك به، وإنابتك إليه...

ولما تكررت علينا رسائلك ووسائلك تعينت علينا مفاوضتك، فيما رضيناه من مسألتك، ومعارضتك فيما اخترناه من منهجك في النصح، الذي يجري إليه أهل الفضل، وأمرنا الله به على ألسنة الرسل، وكففنا عن معارضتك على ما استقبحناه من خطابك، وسخطناه من كتابك، من سب الرسل الكرام، والأنبياء المعظمين عليهم السلام وانحرفنا عن ذلك إلى أن نحذرك وننذرك ونعذرك فيما لم يبلغك علمه، ولم يتحقق لديك حكمه، ونبالغ في الرفق بك، والتبيين لك على منهج الخطب والرسائل، لا على طريق البراهين والدلائل، مساعدة لك على مذهبك في كتابك، وموافقة لك في مقصدك، فعسى أن يكون أقرب إلى استمالتك، وأبلغ في معارضتك ومعالجتك...

والله نسأل أن يهديك ويهدي بك من قبلك فتفوز بأجورهم، وتكون سببا إلى استنقاذهم، فأنت فيما بلغنا مطاع فيهم. والسلام على من اتبع الهدى»[49].

وقد اعتمد الباجي في مناظرته للراهب الفرنسي على أساليب مختلفة نقتصر منها على الشاهد الشرعي من القرآن الكريم، على اعتبار أن الشاهد من الحجج القوية التي استعملها الباجي لإقناع المخاطب والوصول إلى غايته، فالشاهد القرآني على سبيل المثال اعتمده الباجي في مواضع كثيره تصدرت مفتتح المناظرة وصلبها وخاتمتها، ويمكن التدليل على توظيف المناظرة للشاهد القرآني من خلال الآيات التالية: ﴿**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[50]، ﴿**وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾[51]، وغيرها من الآيات الموزعة على مساحة النص.

لقد كان الباجي صاحب حجة، يقيم الدليل على خصومه بالنص الشرعي المناسب الذي لا يقبل المراوغة، وكان صادقا في دعوته وملما بطرق عرضها، ومستوعبا للمناهج التي درسها سواء في بلاده الأندلس أو في رحلته إلى المشرق من فقه وحديث ولغة وعلم الكلام وغيرها، حتى تأهل ليكون داعية لحمل رسالة التوحيد والجهاد في سبيل الله، وهكذا أبطل الباجي دعوة النصارى المبطلين لدينه والمنكرين لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

بالإضافة إلى ذلك اعتمد الباجي على الآثار القديمة التي كانت في كتب الأوائل، وصحائفهم المقدسة، واتخذ لنفسه طريقا وسطا يستند على التمييز المنطقي والنظر العقلي للدفاع عن تصور اعتقاد المسلمين لله تعالى ولنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، لذلك بادر في مناظرته إلى القول: «**وما من نحلة ولا ملة إلا وهي تزعم أن نفوسها نيرة بما تعلمه، منشرحة بما تعتقده، وكذلك تقول البراهمة الذين يكذبون الرسل، والدهرية الذين يدعون الأزل، والفلاسفة القائلون بقدم العالم، والثنوية المثبتون لخلق النور والظلام، فما أحد من هذه الفرق إلا وهو يدعي أن نفسه أسكن إلى ما تعتقده، وأوثق بما تنتحله، وأنور بما يزعم أنه يعلمه من نفوس مثبتي الرسل، ومتبعي الكتب، لكن وضع الكلام ونشره، وتمييزه ووصفه يعلي الحق ويثبته، ويدحض الباطل ويمحقه**»[52].

والرسالتان من الوثائق التي تكشف عن الصراع والجدل الديني الذي جرى بين النصارى والمسلمين في الأندلس، فإذا كانت رسالة القديس "هيو"(st/hugh) تكشف في بعض جوانبها عن الحقد المذهبي المتمثل في السلطة الدينية للرهبان ورجال الكنيسة، فإن أبا الوليد الباجي سلك سبيل الاعتدال، وجعل من رسالته فرصة للدعوة إلى الإسلام، مبينا شرف الملة المحمدية، وسمو منزلتها بين الأديان السماوية الأخرى بأسلوب حكيم وقويم بعيد عن نوازع التعصب المفضي إلى إثارة الفتن والصراعات والحروب المذهبية، متمثلا

قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[53].

والباجي في رده هذا يتعرض إلى إظهار مواطن الخلاف بين المسيحية والإسلام، أو بمعنى أدق بين النصارى والمسلمين مستعينا بالشرح، ومعتمدا على منهج أهل السنة والجماعة في الكشف عن فساد عقيدة التثليث وبيان حقيقة المسيح وما شاب الإنجيل من تحريف وتغيير وتبديل، كما أنه يؤكد على خلوص الدعوة الإسلامية من النقص، إلى غير ذلك من المسائل التي أثارها الباجي في خطابه.

يعلق الدكتور محمد عبد الله عنان على رسالة أبي الوليد بقوله: «**فكتب الباجي رده المشهور على هذه الرسالة، وهو رد مسهب يفيض منطقا وبلاغة، وفيه يفند الباجي مزاعم الدين المسيحي، وألوهية المسيح وغيرها بقوة، ويشرح تعاليم الإسلام بوضوح، ويدعو الراهب بالعكس إلى اعتناق الإسلام، وينوه بمعجزة القرآن وروعته، ويدلل ببراعة على بطلان التعاليم المسيحية وتناقضها**»[54].

أما محقق الرسالتين الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، فيعلق على رد الباجي بقوله: «**لم يكن أقصى ما يؤمله الباجي من رده أن يرضي المقتدر بالله، لكن طموحه السديد كان أبعد من ذلك وأعظم؛ إذ كان يروم تعريف راهب فرنسا وكبير رجالات الكنيسة فيها بمحاسن الإسلام، وما عليه النصرانية بعد التحريف من مجافاة للعقل والمنطق، فضلا عن مصادمتها للفطرة السليمة بأسلوب قويم حكيم، وإن كل فقرة في الرسالة لتؤكد هذا المعنى وتعمقه**»[55].

خاتمة:

وأخيرا يمكننا القول بأن رسالة ابن حزم القرطبي والباجي شكلتا وثيقة تاريخية ألقت الضوء على بعض الجوانب السياسية والاجتماعية والفنية التي شهدتها الجزيرة الإيبيرية خلال القرن الهجري الخامس، فكلا الرسالتين تبين الوهن السياسي الذي عاشته الإمارات الأندلسية في تلك الحقبة، أما عن الجانب الاجتماعي فظاهر من خلال الرسالتين مدى الحرية التي تمتع بها أتباع الديانتين اليهودية والنصرانية، خصوصا اليهود الذين وصلوا إلى مراكز سياسية مؤثرة في نظام الحكم بالأندلس، أما عن الجانب الفني فيظهر من خلال التمرس الكبير في امتلاك أساليب الكتابة الخاصة بفن المناظرات الدينية سواء لدى الفقهاء المسلمين أو علماء أهل الذمة، فقد أتاح هذا الفن بأساليبه وطرقه المبتكرة مساحة وافية للتعبير عن الأفكار المختلفة، والأهواء المتضاربة، وكشفت النصوص التي عرضنا أجزاء يسيرة منها عن أساليب الإقناع، وخصائص التراكيب البلاغية التي اعتمدها كل طرف.

كما ظهر من خلال هذا الفن جماعة من الكتاب الذين سخروا أقلامهم لتوعية الرعية، وتحذيرهم من خطر الزندقة الفكرية، فالمناظرات لم تكن مجرد أداة للاشتغال بالمنازعة المقصودة لذاتها، وإنما كانت وسيلة من وسائل تنمية المعرفة الصحيحة وممارسة العقل السليم لاسيما إذا كانت بين أطراف مختلفة إحداها يمثل الثقافة العربية الإسلامية، وأطراف أخرى تمثل الثقافة المذهبية لليهود والنصارى، حيث اعتبرت هذه المناظرات من أقوى الخطابات الأدبية لاعتمادها على التقنيات البلاغية التي تستهدف المتلقي، وتأثر في الخصم وتتغلب عليه.

الهوامش:

(1) لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، تحقيق اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة 1414هـ، مادة نظر، ج5، ص219.

(2) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج5، ص:444.

(3) سورة الحديد، الآية: 13.

(4) صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق جماعة من العلماء، لطبعة: السلطانية، بيروت، الطبعة: الأولى 1422هـ، ج1، ص 123.

(5) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي المعروف بالأعلم، ص:88.

(6) سورة القيامة، الآية: 22،23.

(7) سورة ق، الآية: 6.

(8) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1983م، ص: 232.

(9) شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة، عبد الوهاب بن ولي الدين الآمدي، تحقيق: العلامة محمد بن حسين البهتي، مطبعة مصطفى البابي، مصر1961م، ص: 57.

(10) النهاية في غريب الحديث والأثر، محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، مطبعة المكتبة العلمية بيروت1979م، ج4 ص: 322.

(11) سورة الأعراف، الآية: 12.

(12) سورة البقرة، الآية: 258.

(13) سورة النحل، الآية: 125.

(14) سورة النحل، الآية: 125.

(15) الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج1 ص 26.

(16) زاد المعاد في هَدي خير العباد، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى: 1417هـ، ج3، ص551.

(17) سورة العنكبوت، الآية: 46.

(18) سورة النحل، الآية: 125.

(19) سورة البقرة، الآية: 272.

(20) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى1420هـ، ج1، ص104.

(21) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى1981م، ج1، ص195.

(22) سورة المائدة، الآية:51.

(23) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء أحمد بن علي القلْقشندي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى 1987م، ج1، ص93.

(24) باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي، كنيته أبو مناد، ولقبه الحاجب المظفر بالله، الناصر لدين الله، ثالث حكام طائفة غرناطة في عهد ملوك الطوائف، ينظر كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ج1، ص240،241.

(25) وزير باديس بن حبوس الصنهاجي بغرناطة، تقلد منصب جباية الأموال، وتدرج في المناصب ليصبح المسير الفعلي لشؤون الدولة والمحتكر لديوان الكتابة، قامت العامة بانتفاضة ضده فقتلوه هو وجماعة من يهود غرناطة، المصدر نفسه، ج1، ص243،244.

(26) إبراهيم بن مسعود بن سعيد، أبو إسحاق التجيبي الإلبيري: شاعر أندلسي أصله من حصن العقاب، اشتهر بغرناطة، ترك ديوان شعر صغير، وشعره كله حكم ومواعظ، ينظر كتاب الأعلام، خير الدين الزركلي، ج1، ص73،74.

(27) ديوان أبي إسحاق الإلبيري، أبو إسحاق التُّجيبي الإلبِيري، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار قتيبة (دمشق)، الطبعة: الثانية، 1981م، ص89.

(28) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى 1997م، ج2، ص77.

(29) طوق الحمامة في الألفة والألاف، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: إحسان عباس، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية 1987م، ص166.

(30) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة 1985م، ج18، ص200.

(31) الرد على ابن النغرلة اليهودي ورسائل أخرى، ابن حزم علي بن سعيد، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960م، ص 148.

(32) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج18، ص 199.

(33) الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1424هـ، ج1، ص 24.

(34) رسائل ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى: 1981م، ج3، ص 41،42،43،44.

(35) سورة النساء، الآية: 78.

(36) سورة النساء، الآية: 79.

(37) رسائل ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ج3، ص43.

(38) سورة ق، الآية: 9.

(39) رسائل ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ج3، ص56.

(40) بديع الزمان الهمداني: رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة)، الطبعة: الأولى 2003م، ص267.

(41) يذكر محقق هذه الرسالة أن كاتبها هو القديس"هيو" (st/hugh)، كبير دير (Cluny)، رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع (القاهرة، مصر)، 1406هـ، 1986م، ص34.

(42) المرجع نفسه، ص49.

(43) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، ص50،49.

(44) المرجع نفسه، ص53،52.

(45) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، ص49،53،55.

(46) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، الطبعة الأولى 1981م، ج3، ص95،94.

(47) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري التلمساني، ج2، ص72.

(48) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، ج3، ص95.

(49) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، محمد عبد الله الشرقاوي، ص64،63.

(50) سورة فصلت، الآية: 42.

(51) سورة الأعراف، الآية: 43.

(52) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، محمد عبد الله الشرقاوي، ص66.

(53) سورة العنكبوت، الآية 46.

(54) دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، ج2، ص282.

(55) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، ص 31،30.